(طبقات الشافعية الكبرى)

 لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن السبكي

*مبحث فى* دراسات فى تاريخ الرواة وطبقاتهم

*إعداد / ميريهان مجدي محمود*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*mirihan@mediu.ws*

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى (طبقات الشافعية الكبرى)
الكلمات المفتاحية – البلدان ، الموسوعات ، العلماء**

**المقدمة.I**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة (طبقات الشافعية الكبرى)**

 **.عنوان المقالII**

**نوع آخر من كتب الطبقات، ولكن ليس في علماء البلدان، وإنما في علماء المذاهب، ونبدأ هذا النوع من الكتب بـ(طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب علي بن عبد الكافي السبكي، الذي وُلد سنة سبعمائة وسبع وعشرين، وتُوفي سنة سبعمائة وإحدى وسبعين.**

**قد سبق السبكي بعضُ العلماء الذين ألفوا في طبقات الشافعية، ولكن ابن السبكي حين ألف كتابه هذا جاء إلينا بعمل فريد وقدم إلى الناس إحدى الموسوعات العربية، ينهل منها كل من يطلب المعرفة وينشد فيها كل متخصص حاجته، ولم يكن تأليفه (الطبقات) فكرة عابرة أرّقته حينًا فسجلها في كتاب، وإنما كان يعد لذلك -كما أخبرنا في المقدمة- منذ صباه، كلِف بأخبار العلماء فجعل يجمعها، وكلما وقع نظره على شاردة قيدها أو حادثة أمعن النظر فيها، أو على مناظرة شهدها وحكم فيها، حتى إذا استقام عُودُه ونضجت ثقافته وكثرت تجاربه ومَلك زمام القول أفرغَ هذا كله في كتابه (الطبقات) مارًّا بك على رياض الفكر ومواكب الشعر ومجالس العلماء، فبينَ الفقيه منها في عويص الفروع المشتبكة، إذا به في رياضٍ من آدابٍ تحرّك فاقد الحركة، وبينما الأديب في نشر حلل مطرزة إذا به في مواعظ وحكم موجزة، وبينما المريد في سلوك الطريق إذا به في أحاديث مسندة، يعلم أنها باب التوفيق، وبينا المؤرخ في حكايات انقضى زمانها إذا به قد عبَر على تراجم يعزّ على المنقب وجدانها.**

**و(الطبقات الكبرى) تشتمل على مقدمة وسبع طبقات، يترجم كل طبقة منها لأعلام مائة سنة، أما المقدمة فقد استوفى فيها ابن السبكي مباحث عدة، وناقش مسائل في الحديث ونقد الرجال والنحو، بل إنه ليعرض لقضايا علم الكلام فيقدمها ويبين الآراء في استقصاء شامل وسردٍ منهجي، ثم ينتصر رأيه ورأي الأشاعرة آخر الأمر.**

**ولم ينسَ تاج الدين بن السبكي أن يناقش آراء العلماء في رواية الشعر وفي إنشاده وسماعه، وأن يذكر ما بلغه مسندًا من الشعر الذي أنشد بين يدي رسول الله  وما رُوي عن صحابته وعلماء الأمة وأخيارها، وما روي عن الشافعي نفسه من إنشاد الشعر وسماع الشعر، وقد حرص أبو نصر بن السبكي على أن يذكر في المقدمة طبقات الرواة الذين عنهم أخذ، وبطريقهم أسند، كما هزته الأحداث الدامية التي شهدها العالم الإسلامي إبان الزحف المغولي الغاشم، فذكر حوادثها مختصرة على النحو الذي يحتاج إليه الفقيه وينشده غير المتخصص.**

**وقد نهج ابن السبكي في مقدمته هذه نهجًا فريدًا؛ حيث لم يستطرد في افتتاحيته فيفتتح ببسم الله، ويثني بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله  وذكر الشهادتين، وإنما كان يتمهل في ذكر ذلك كله؛ فقد بدأ كتابه بسم الله وحمده تيمنًا وتبركًا، ثم روى بسنده كل ما يتصل بافتتاح الأعمال من أحاديث، وناقش كل ما عرضت له هذه النصوص من قضايا، حتى إذا اطمأن إلى أن القول قد تم وكمل قال: فبسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي رفع طبقات العلماء على هام الملوك وتاجها، ثم روى بعد ذلك بسنده الأحاديث التي تتعلق بالشهادتين، واستوفى مباحثهما حتى تسنى له فيما بعد أن يقول: فنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة آمنة من اختلال الأذهان واختلاجها، ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، إمام المتقين وضياء سراجها، ثم يروي بعد ذلك بسنده الأحاديث التي تحض على الصلاة على النبي  ويبين ثواب فعلها وإثم تركها، ثم يقول: فصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسائر الأنبياء والمرسلين القائمين بمداواة القلوب، ثم يروي بعد ذلك بسنده أحاديث فضل قريش وعلمائها، ويخوض في بحوث شتى حول الإمامة السياسية وإمامة العلماء، ويتحدث عن مكانة الشافعي ونسبه، ثم عن الأئمة الذين يبعثهم الله تعالى على رأس كل مائة سنة فيجددون لهذه الأمة أمر دينها، ثم يقول: ورضي الله عن إمامنا المطلبي الشافعي شافي العي عن الكلمات باعتدال مزاجها، ولا يستطيع ابن السبكي أن يقول: أما بعد، ويشرح سبب تأليف الكتاب ونهجه في وضعه إلا إذا ذكر بسنده من الأحاديث والآثار ما يتعلق بـ"أما بعد"، وأول من قالها.**

**أما الطبقات فقد جعلها تاج الدين على سبعة أجزاء، وعقد لكل أهل مائة سنة طبقة، وهو يرى أن كتابه هذا كتابُ حديث وفقه وتاريخ وأدب، ومجموع فوائد تنسلّ إليه الرغبات من كل حدب، نذكر فيه ترجمة الرجل المستوفاه على طريقة المحدثين والأدباء، ونورد نكتًا تسحر عقول الألباء، وقد جرى ابن السبكي في ترجمته رجال الطبقات على نهج قويم، يدل على بصرٍ بتاريخ المترجم، وإحاطة بالفنون التي أجادها، ووعي لدقائق الأمور التي أثارها وبصر بالجديد الذي أضافه إلى العلم والمسائل التي تفرد بها في فنه.**

**يقول تاج الدين بعد أن ذكر سبيله هذا: وكل هذا وراء مقصودنا الأعظم فيه، ومرادنا الأهم الذي لا يقوم به سهر الليل ولا يوفيه؛ إذ أعظم مقاصدنا أن عند الفراغ من ترجمة كل رجل أو في أثنائها أن ننظر؛ فإن كان من المشهورين الذين طارت تصانيفهم فملأت الأقطار ودارت الدنيا ولم تكتفِ بمصر من الأمصار نظرنا؛ فإن وجدنا له تصنيفًا غريبًا استخرجنا منه فوائد أو مسائل غريبة أو وجوهًا في المذهب واهية وكتبناها، وإلا فنذكر وجهًا غريبا ذكر عنه أو مقالة غريبة ذهب إليها، وشذ بها عن الأصحاب، وإن كان من المقلّين أعملنا جهدنا في حكاية شيء من ذلك عنه، وربما غلب الفقه على إنسان ولم نرَ عنه في الفقه مستغربًا فنقلنا عنه فائدة غير فقهية؛ إما حديثية أو غيرها، وربما غلب عليه الحديث أو غيره من العلوم سوى الفقه، فأعملنا جهدنا في نقل شيء من الفقه، أو ما يناسبه عنه؛ فإن لم نجد له شيئًا لم نُخلِ ترجمته من حكاية أو شعر أو فائدة تستغرب.**

**وقد أدرك ابن السبكي طبيعة وصعوبة هذا المنهج ومشقته على القارئ، ولهذا فهو يعتذر عن احتفاله بالأسانيد، وحرصه على نقل المناظرات والمجادلات كاملة والاستطراد إن احتاج الأمر إلى الاستطراد؛ يعتذر عن ذلك كله بأنه جعل كتابه كافيًا لمن يقرؤه مغنيًا له عن النظر في كثير من المصادر، ولم يستطع ابن السبكي أن يفي بوعده هذا في كل ترجمة، فهو أحيانًا يذكر اسم المترجَم ثم يسكتُ عنه، وأحيانًا أخرى يذكر ترجمته ناقصة، بل إن في الكتاب مباحثَ لم يكملها المؤلف، وربما كان يرجئ ذلك كله إلى فسحة من الوقت، ولكنه لم يُنسأ له في الأجل حيث مات في الرابعة والأربعين رحمه الله تعالى.**

**وقد اعتمد ابن السبكي في ترتيبه كل طبقة على حروف المعجم وبدأ بذكر الأحمدين ثم المحمدين تيمنًا وتبركًا برسول الله  وقد علمنا أن بعض المصنفين كان يبدأ بالأحمدين ثم يدرج المحمدين في حرف الميم، أو قد يبدأ بالمحمدين ثم يذكر الأحمدين في مكانهم الطبيعي من حروف المعجم، لكن ابن السبكي فعل هذا وذاك، وجمع بين الحسنيين، وكذلك فعل في (الطبقات الوسطى) و(الصغرى) حيث رتب المترجمين على حروف المعجم، مع البدء أيضًا بالأحمدين والمحمدين، ولكنه أغفل الترتيب الزمني للطبقات، واكتفى بالترتيب على حروف المعجم ما عدا من لقي الشافعي منهم؛ فقد أفرد هؤلاء بطبقة وذكرهم في صدر الكتاب مرتبين على حروف المعجم.**

**وهنا تثور مشكلة السبق في تأليف الطبقات الثلاث، بأيها بدأ ابن السبكي؛ يرى الأستاذ محمد الصادق حسين في كتابه (البيت السبكي) أن تاج الدين قد تدرج في وضع طبقاته من المختصر إلى المطول، لا من المطول إلى المختصر، وينقد على واضعي فهارس دار الكتب قولهم: إن المؤلف قد اختصر (الطبقات الوسطى) من (الكبرى) ثم اختصر (الطبقات الصغرى) من (الوسطى)، ويعلق على هذا بقوله: وهذا وهم، فالثابت أن (الطبقات الوسطى) ألفت قبل الكبرى؛ لأنا نجد في جزء من الوسطى مخطوط، قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: فرغت منه في ليلة الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبعمائة بدمشق المحروسة عمرها الله تعالى، و(الطبقات الكبرى) إنما فَرغ من تأليفها سنة سبعمائة وست وستين، كما جاء في ذيل كثير من الأجزاء، وكما ترى في إحدى القطع الثلاث في صدر هذا البحث التي يقال: إنها بخط تاج الدين، وثابت أن (الطبقات الوسطى) ألفت وأبو المؤلف من الأحياء، ففي (الطبقات الكبرى) أن علي بن عبد الكافي كتب بخطه على ترجمته في (الطبقات الوسطى) عبارة اختتمها بقوله: كتبه علي السبكي في يوم السبت مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة. انتهى. لكن (الطبقات الكبرى) ألفت بعد وفاة والد المؤلف؛ ففي غير موضع منها يذكر المؤلف والده ويترحّم عليه، فلا نزاع إذًا في أن (الوسطى) ألفت قبل (الكبرى)، ولم يتيسر لي الاطلاع على الصغرى لمعرفة تاريخ تأليفها إن وجد ما يدل عليه، لكني أرجح أنها ألفت قبل (الوسطى).**

**ويقول محققو كتاب (الطبقات): وقد تيسر لنا الاطلاع على نسخة من (الطبقات الصغرى) محفوظة بدار الكتب المصرية جاء بأولها: هذا مختصر لطيف في تاريخ الفقهاء الشافعيين أصحاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي > جمعنا فيه ما أوردناه في كتابنا (الكبير) من الأسماء، واختصرنا فيه على نبذ يسيرة، أعان الله على إكماله بمنّه وكرمه وأفضاله، وفي آخرها: هذا آخر المختصر الأصغر من كتابنا (طبقات الشافعيين) وهو مع التناهي في الاختصار والاقتصار جليلُ الفائدة جميل العائدة، ولا يقدر على جمعه إلا من جمع من كتابنا (الكبير) و(الوسيط) وأضافهما إلى كتبه، وفي آخرها أيضًا قال المؤلف -رحمه الله-: كتبه مؤلفه عبد الوهاب بن علي السبكي، كان الله له، واتفق الفراغ منه صبيحة يوم الأحد سابع شعبان المكرم، سنة سبعمائة وست وخمسين، بدمشق، وقد رجعنا إلى نسخة من (الطبقات الوسطى) محفوظة بدار الكتب المصرية، تبدأ بحرف الطاء، وسجلنا منها هذه الملاحظات، هذا كلام محققي كتاب (الطبقات)، في آخر ترجمة القفال الصغير الطبقة الرابعة يقول: وقد أسندنا حديثه في (الطبقات الكبرى)، في آخر ترجمة عبد الله بن مروان الطبقة السابعة يقول: أسندنا حديثه في (الطبقات الكبرى)... إلى آخر مثل هذا في مواضع متفرقة من الكتاب.**

**ثم يقول محققو الكتاب: كما تيسر لنا الاطلاع على نسخة كاملة من (الطبقات الوسطى) محفوظة بجامعة الدول العربية يذكر المؤلف في مقدمتها أنه ألّف كتابًا في طبقات الفقهاء الشافعية مبسوطًا حافلًا حاويًا لما يُراد منه، ويذكر أيضًا بعد انتهائه من إسناد أحاديث الافتتاح والحمدلة والشهادتين يقول: وفي الباب أحاديث أخر كثيرة، سقناها مع إشباع الكلام عليها في (الطبقات الكبرى) ويذكر أيضًا بعد إسناده أحاديث "أما بعد" قوله: وقد جمعنا في "أما بعد" أشياء جمة في الطبقات الكبرى، ويبدو للوهلة الأولى أن هذه النقول تخلق من الترتيب الزمني لتأليف الطبقات مشكلة تاريخية، ولكن ابن السبكي يحسم ذلك بقوله في مقدمة (الطبقات الوسطى) المحفوظة بجامعة الدول العربية: فأعملنا الهمة في كتابنا، حتى جاء على الوجه الذي شرحناه، إلا أني لِما التزمت فيه من ذكر الغرائب لم يمكني إخراجه من يدي في هذا الزمان؛ لأنه كل يوم يتجدد فيه استفادة ما لم يكن يعرفه، فيحتاج إلى كتابته، وأيضًا فبقيت تراجم كثيرة، نأمل تحصيلها وإيداعها فيه، ومعلومٌ أن في إخراجه من اليد إلى من يثِب عليه وينسخه أحد الأمرين؛ إما الكف عن كتابة ما يحدث بعد ذلك معرفته، وإما إتلاف النسخ على أصحابها بالزيادة والنقصان، وكثرة التغيير، فعمدت إلى ذلك الكتاب واختصرته اختصارًا؛ ليأتي بالتراجم على وجهها لا يدع منها اسمًا، فإن أنت رأيت اسمًا في ذلك الكتاب غير مذكورًا هنا فاعلم أنه مما زيد فيه بعد خروج هذا المختصر من أيدينا، ويتضح من هذا أن ابن السبكي قد بدأ بإخراج (طبقات الشافعيين) في كتابه (الطبقات الوسطى)، وكان في أثناء ذلك يعمل لإصدار موسوعته في هذا الفن، التي عرفت باسم (الطبقات الكبرى).**

**وإذًا فقد اتّجه ابن السبكي إلى الفراغ من كتابه (الطبقات الوسطى) ليخرجه إلى الناس تاركًا المسائل المعلقة لكتابه الكبير (الطبقات الكبرى)؛ ولهذا لم يتيسر له أن يصل بـ(الطبقات الكبرى) إلى الكمال فيما كان يأمله، فترك بعض الثغرات في كتابه؛ مسائل لم يكتمل القول فيها، وترجمات لم يهتدِ إلى كل أخبارها، وأسماء لم يعثر على أخبار تميزها وتحدد معالمها، وربما كان ابن السبكي يرجع إلى طبقاته الوسطى بالصقل والتهذيب، فلو رجعنا إلى الفقرة "هـ" من ملاحظتنا على نسخة دار الكتب من (الطبقات الوسطى) ورجعنا إلى الطبقة السادسة من (الطبقات الكبرى) فلن نجد لمحمد السمعاني ذكرًا فيها، كذلك نلاحظ أن بعض التراجم الناقصة في (الكبرى) كاملة في (الوسطى)؛ ففي ترجمة طلحة بن الحسين الطبقة الخامسة، نجده لا يذكر إلا اسمه، أما في (الطبقات الوسطى) فإنه يقول: طلحة بن الحسين أبو محمد الإسفراييني المهرجاني، مات في دهليز الحمام فجأة، وذلك في خامس ذي الحجة سنة ست وأربعين وخمسمائة، ومن هنا كانت (الطبقات الوسطى) محل إجلال العلماء، وقد اعتمدها ابن حجر، واستعارها منه القاضي قطب الدين محمد بن محمد الخضيري المتوفى سنة ثمانمائة وأربع وتسعين، وأفاد منها في تأليف مصنفه عن الشافعية، ولعله اختصر (الطبقات الصغرى) من (الطبقات الوسطى) ومن (الطبقات الكبرى) أثناء عمله فيها وقبل الفراغ منها.**

**المراجع والمصادر**

1. **(علم رجال الحديث)**

**تقي الدين الندوي المظاهري، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، 1987م.**

1. **(علم الرجال وأهميته)**

**عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني, دار الراية للنشر والتوزيع, 1417هـ.**

1. **(علم طبقات المحدثين: أهميته وفوائده)**

**أسعد سالم يتم، مكتبة الرشد, 1994م.**

1. **(تاريخ خليفة بن خياط)**

**خليفة بن خياط الشيباني، تحقيق: أكرم ضياء العمري, بيروت، مؤسسة الرسالة, 1977م.**

1. **(الطبقات)**

**خليفة بن خياط الشيباني، الرياض، دار طيبة،1982م.**

1. **(التاريخ الكبير)**

**عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1884م.**

1. **(الجرح والتعديل)**

**عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1952م.**

1. **(مناهج المحدِّثين في رواية الحديث بالمعنى)**

**عبد الرزاق بن خليفة الشايجي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1419هـ.**

1. **(الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين)**

**أحمد محرم الشيخ ناجي, مطبعة الصفا والمروة, 2001م.**

1. **(من روى عن أبيه عن جده)**

**الزين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: فيصل الجوابرة، المعلا، الكويت، مكتبة ابن سعد محمد بن سعد، 1988م.**

1. **(الرواة من الأخوة والأخوات)**

**علي بن المديني أبو داود السجستاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية للنشر والتوزيع، 1988م.**

1. **(الكنى والأسماء)**

**محمد بن أحمد الدولابي،حيدر آباد، دائرة المعارف النظامية، 1322هـ.**

1. **(طبقات الحنابلة)**

**محمد بن محمد بن الحسين البغدادي أبو يعلى الحنبلي، مطبعة السّنة المحمدية، 1371هـ.**

1. **(الطبقات الكبرى)**

**ابن سعد محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، 1405هـ.**